الملخص :
عاش المعتمد بن عباد ملك إشبيلية حياة مليئة بالرفاهية والترف في وقت شبابه وفتوته ، غير أن نصفه الآخر من حياته قد تحول إلى عالم مليء بالحزن والأسى إثر فقده لوطنه وملكه، وما بين هذين العالمين نجد أن المعتمد قد وقع في دائرة الغياب؛ فجاء هذا البحث ليدرس أثر الغياب ووقعه على قلب المعتمد وعلى شعره ،ولغته التي فاضت بالحزن والشجن في ثلاث حالات حاطت به ونسجت خيوط الغياب حول عنقه مع المرأة ، والوطن ، والأهل ، والرفقة.
الكلمات المفتاحية : المرأة – الوطن – الأهل والرفقة – الغياب – الشجن

Summary :
Al-Mu'tamid bin Abbad, King of Seville, lived a life full of luxury and luxury during his youth and his youth, but his other half of his life had turned into a world full of grief and sorrow after losing his homeland and possession, and between these two worlds, we find that Al-Mu'tamid fell into a cycle of absence. This research came to study the impact of absence and its impact on the heart of the adopted person and on his poetry, and his language that overflowed with sadness and sadness in three cases surrounding him and weaving strings of absence around his neck with the woman, the homeland, the family, and companionship.
Key words: women - the country - family and companionship - absence – imprisonment

المقدمة:

قدر بعض الشخصيات أن تعيش في دائرة الغياب منذ بدء حياتها، دون رسم أو إدراك لذلك ؛ فنراها تتحدث عن هذا الشعور بين فينة وأخرى وكأنه ملازم لها يحوطها الغياب من كل جانب ، من غياب للأحبة ، والوطن، الملك والعز والمجد ، وغياب للشعور بالأمان والطمأنينة ، والأمل والروح المشعة بالفرح ، والنصر على هذه الحياة .

كل ذلك حدث للشاعر الأندلسي المعتمد بن عباد[١] فوقع في دائرة الغياب كرها ودون رغبة منه، فكيف تعاطى الشاعر مع هذه الدائرة التي خنقته ، وما أبرز حالات الغياب التي صادفته ، وما أثرها على نفسه وعلى شعره، وهل كان الشاعر هو من قام بفعل الغياب عمداً ، أم أن الغياب كان شركه الدائم ، وهل كان يتوقع أن كل هذا الغياب سيحوط به ، وما أبرز المفردات التي تكررت في لغته الشعرية تعبيرًا عن هذا الغياب ؟

كل هذه التساؤلات وغيرها سيجيب عليها البحث –بإذن الله– عند استحضار النصوص التي تحدثت عن الغياب ،وذكرت في ديوان المعتمد بن عباد, وهي ليست بالقليلة لكي لا ينظر اليها ؛ بل هي كمية من النصوص التي تستحق الوقوف عليها وتأملها في ظل ملك وشاعر يرى الناس أنه قد امتلك كل شيء من زمام الحياة الفارهة ، والمباهج الباذخة ؛ بيد أنه لم يستطع أن يمتلك وطنه ومجده حتى وفاته .

مستعينة –بإذن الله– بالمنهج الوصفي التحليلي في إتمام هذا البحث.

إن المتأمل في ديوان المعتمد بن عباد يجد حضورا مكثفا لفعل الغياب وأثره في شعره حتى وهو في عز مجده ومجد آبائه، فما هي أحوال الغياب في شعر الملك الشاعر النبيل التي أثرت عليه وعلى شعره ؟

---

[١] محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل بن عباد، المعتمد على الله ، يلقب أيضا بالظافر ، والمؤيد ، ملك مدينة إشبيلية، شاعر وأديب ، عرف بحبه لمجالس الشعراء والأدباء ، كما عرف بكرمه الوافر لوافديه.

انظر ترجمته في :الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لأبي حسن علي بن بسام الشنتريني، تحقيق د. إحسان عباس(ليبيا –تونس، الدار العربية للكتاب ١٣٩٥هـ–١٩٨٥م)،مج١–ق٢–ص٤٣،والمغرب في حلى المغرب، لعلي بن موسى بم محمد عبدالملك بن سعيد،ط٣،تحقيق د.شوقي ضيف(القاهرة: دار المعارف)ج١–ص٦٣،وقلائد العقيان ومحاسن الأعيان، للفتح بن محمد بن عبيدالله القيسي والمشهور بن خاقان ، تحقيق د.حسين يوسف خربوش،ط١(عمان–مكتبة المنار ١٤٠٩هـ–١٩٨٩م) ص ٢٠٦

أحوال الغياب في شعر المعتمد بن عباد:

بعد النظر والتأمل يمكن أن نقول إن عدد حالات الغياب التي وقع المعتمد بن عباد في دائرتها تكمن في ثلاث حالات، وهذه الحالات بحسب توافر النصوص في كل حالة هي :

١- حال المرأة والحب.

٢- حال الوطن وضياع الملك.

٣- حال الأبناء والأهل والرفقة.

أولاً- حال المرأة والحب :

كما يعلم قارئ الأدب الأندلسي والباحث فيه أن المجتمع الأندلسي قد شهد ازدهارا حضاريا، وثقافيا ، واجتماعيا كما شهدت فيه المرأة حضورا مختلفا عن أختها المشرقية من جهة التحرر والجرأة ، والمفاخرة بجمالها ودلالها، وكان لها حضورها البارز في الساحة الأدبية والشعرية إذ رأينا شاعرات كثر برزن في الأدب الأندلسي ما بين حرائر وجوار ممن كان لهن (أعظم الأثر في تنشيط الحركة الشعرية عن طريق مجالستهن ومساجلتهن لكبار الشعراء والأدباء)[١] ؛ فضلا عن المعلمات ،والمؤدبات ، والعالمات اللاتي أسهمن في التعليم الأندلسي ، ومن هؤلاء الشاعرات على سبيل المثال لا الحصر: ولادة بنت المستكفي , وحفصة بنت الحاج الركونية ، ونزهون الغرناطية، وعائشة القرطبية ، وأم الكرم بنت المعتصم بن صمادح , وغيرهن ممن حفل بهن المجتمع الأندلسي.

وبما أن المجتمع الأندلسي كان مجتمعا منفتحا ومتسامحا مع المرأة وظهورها، فمن غير شك سنرى عددا منهن ارتبطن بأسماء كبار الشعراء كارتباط ولادة بابن زيدون ، وبالملوك كارتباط اعتماد الرميكية بالملك الإشبيلي المعتمد بن عباد.

و من ينظر في قصة الملك الشاعر المعتمد بن عباد وزوجه اعتماد الرميكية سيرى عظم مكانة هذه الزوجة وأثرها القوي على زوجها ، كمثل تأثيرها عليه عندما دفعته للانتقام من صديقه الشاعر ابن عمار وذلك بعد أن هجاها بالقصيدة اللامية المشهورة التي يقول في بعض منها ، مخاطبا المعتمد بن عباد ومعيبا له على سوء اختياره في زوجه الرميكية[٢]

تَخيرتَهَا من بَنَاتِ الهجانِ رميكية ما تساوي عِقَالا

---

[١] السرد القصصي في الشعر الأندلسي(دراسة نقدية)، للدكتور. إنقاذ عطا الله محسن ، (دار غيداء للنشر والتوزيع) ، ط١(١٤٣٥هـ-٢٠١٤م)، ص ٤٩

[٢] نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقري، تحقيق: د.إحسان عباس،(بيروت-دار صادر ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)ج٤ ص٢١٢

فجاءتْ بكلِ قَصِير العِذار لئيمَ النجارين عماً وخالًا
قِصار القُـدُود ولكنهم أقاموا عليها قُرُونًا طِوالا

وقد آلمت هذه الأبيات اعتماد كثيرا فأخذت توغر صدر زوجها المعتمد على صديقه (حتى قتله، وضربه بالطبرزين ففلق رأسه ، وترك الطبرزين في رأسه، فقالت الرميكية: قد بقي ابن عمار هدهدا)[١] كما يظهر أثر هذه الزوجة في القصة المشهورة بـ(يوم الطين)[٢] التي ظهر لكل من سمعها أو قرأ عنها المكانة الرفيعة التي آلت إليها عند زوجها , وما ذلك وغيره إلا بفعل الحب واعتلاء المكانة القلبية عنده .

وعلى ما عرف به المعتمد من لهو و نزق بين جواريه ، وميل لهذه وتلك في أحيان ؛ إلا أن المصادر تثبت حبه لاعتماد الرميكية وأنها سيطرت على لبه ، فلم يكن يرفض لها طلبا، ويعلن حبه لها دوما ،ويكفي أنها حظيت عنده حتى لقب نفسه باسمها [٣]

ولولا ذلك الحب وتلك المنزلة لما بقيت معه الرميكية حتى في سجنه وتمت على خدمته إلى آخر لحظة من حياتها .

فكما كانت معه في أيام عزه ومجده نجدها حاضره معه في أيام محنته في أسره وسجنه ، وإن كانت الرميكية قد حازت القدح المعلى من قلب المعتمد بن عباد فهذا لا يعني أن النساء الأخريات وخاصة الجواري عنده لم يكن لهن نصيب من غزله وحبه ، فهو رجل عرف بلهوه ومعاقرته للشراب ، والاستماع للقينات والتمتع بهن مثل غيره من ملوك الطوائف في فترته، وقد ذكرت لنا بعض المصادر أن المعتمد كان يملك ثمانمائة امرأه وأمهات أولاد وجواري متعة ، وإماء تصرف[٤]

وفي القسم الأول من ديوان المعتمد بن عباد نرى عددا من النصوص التي تظهر عبث الشاعر وميله الواضح للنساء من حوله ، وكما تغنى بقربهن وغرامه بهن ، نجده أيضا يشكو من غياب بعضهن وتمنعهن عنه مما كان يوجع قلبه ، ويلهب قصيده ، ومن ذلك قوله فيمن حرمته لذة النوم بغيابها وصدها عنه : (الرمل)[٥]

حَرّمَ النوْمَ عَلينَا ورَقـدْ وابْتلانَا بِهَـواهُ ثُمَ صـدْ .

---

[١] المصدر السابقة والصفحة نفسها

[٢] انظر القصة في المصدر السابق، ج٤ ص٢٧٢

[٣] الحلة السيراء ، أبو بكر عبدالله محمد بن عبدالله القضيعي المعروف بابن الأبار ، تحقيق : د.حسين مؤنس ، ط (القاهرة: دار المعارف ١٩٨٥م) ، ج٢ /٦٢

[٤] الحلة السيراء ج٢ /٢٧٢

[٥] ديوان المعتمد بن عباد ملك اشبيلية ، جمع وتحقيق : د.رضا الحبيب السويس (الدار التونسية للنشر ١٩٧٥م) ص٣٠

يا هِلالا حُسْنَ خد، يا رشا غُنْج لحظٍ، يا قضيبا لينَ قدْ !
بِودادي لك ، بالشوق الذي في فَؤادي ، لا تدَعني للكَمدْ !
لستُ أرضى عن زماني أو أرى مِنكَ حُسنا لا أراهُ منْ أحدْ !

وإن كانت الأبيات الشعرية السابقة في مجملها غزل ، وإظهار للشوق والكمد في لغة سلسة ، وميسرة ؛ فإنها تكشف عن أن غياب من ابتلي بهواها قد زاد من شوقه إليها ، حتى خشي على نفسه من الهلاك .

والمعتمد بن عباد كغيره من الشعراء الذين يولون القلب اهتماما وينكسرون بغياب أحبابهم ولا يتوانون عن إعلان ذلك للمحب الذي قام بفعل الغياب عنهم ؛ لذا نجده كثيرا ما يتحدث عن اللوعة والشوق ، لذلك المحبوب الغائب في مفردات تكاد تتكرر مترجمة عن أثر ذلك

الغياب من مثل : (الكمد ، الشوق ، البعد ، الشجون ، الحزن ، الوجد ، الدموع ،وفقدان السرور) من مثل قوله في جاريته الجوهرة : (السريع)[١]

سُرُورنُا بَعـْدكُمْ ناقصُ والعَيْشُ لا صَاف ولا خالصُ
والسعدُ، إنْ طَالعنَا نَجْمه وغَبْتِ ، فهو الآفلُ الناقصُ !
سَموك بالجَوْهر! مظلومةٌ ! مثلكِ لا يُدْرِكُه غائــصُ !

وقد كانت لجاريته الجوهرة منزله كبيرة فيما يبدو، فقد جاء في شأنها مع المعتمد ابن عباد ما قيل: (كانت له جارية اسمها " جوهرة " وكان يحبها , فجرى بينهما عتاب ، ورأى أن يكتب إليها ، فأجابته برفقة ولم تعنونها باسمها ، فقال : (السريع)[٢]

لَمْ تَصْفُ لِي بَعْدُ، وإلاّ فَلِمَ لَمْ أرَ فِي عُنْوانِها جَوْهَرَه ؟!
دَرَتْ بِأني عَاشِقٌ لاسْمِهَا فَلَمْ تَرُدْ ، لْلغَيظ ، أنْ تَذْكُرَه .
قَالتْ : إذا أبْصَرَهُ ثَابِتا قَبْلَهُ ! والله لا أَبْصَـرهْ !

وهذه الأبيات وغيرها يثبت لنا كم كان المعتمد مرهف القلب ، رقيق العاطفة ، وسريع التعلق ، يميل إلى هذه وتلك من النساء ، ولا يقاوم مشاعره تجاههن ، كما ويتأثر كثيرا بفعلهن ، ويتألم لغيابهن دون مواربة أو خشية من إفصاح مشاعره ، وتدوينها في قصيدة .

ولقد علمت المحبوبات والصويحبات له أن لهن فاعلية عليه لما يبديه من تشوق ولهفة لبعضهن ، وهذا مما دعاهن لتعذيبه وإثارة مشاعره وقصيده بالغياب عنه ، ليحفر اسمهن شعرياً.

---

[١] ديوان المعتمد ، ص٣٢

[٢] المصدر السابق ، ص٣٣

ويبدو أن "جوهرة" من أكثر الجواري ذكرا عند المعتمد بن عباد بعد زوجه اعتماد الرميكية ، ولعلها علمت بمكانتها في قلبه فأخذت في دلها وتمعنها ومن ثم غيابها عنه بين فينة وأخرى ، مما نجم عنه عدة مقطعات شعرية من مثل قوله فيها بعد تمادي غضبها عليه: (الرجز)[١]

جَوْهرة ! عَـــذبَنِي مِنكِ تَمَادي الغَضَب
فَزَفْرِتي في صَعَـــدٍ ، وعَبْرتي في صَبب
يا كَوْكَبَ الحُسْن الذي أزْرَى بِزُهر الشهُب
مَسْكَنُكِ القلبُ ، فَــلا تَـرْضَي لَهُ بالوَصَب

إنه يخبرها عبر رسالته في المقطوعة الشعرية السابقة إنه يعيش العذاب ، وزفراته في صعود ، وعبراته في صبب جراء غيابها وغضبها عليه ، وهي تعلم من تكون بالنسب إليه إذ مسكنها القلب ، ولا يرضى لها غير ذلك فيرجوها ألا ترضى لقلبه التعب والوجع بسببها.

فغضب " جوهرة " هو غياب لرضاها، ولمرحها ، وتمنع لوصلها وحبها عمدا حتى لو كانت بين يديه ، حاضرة ، شاخصة ، أمامه إلا أنه يشعر بغياب روحها عنه، من مرح وأنس وغير ذلك مما تغيبه المرأة الحبيبة عمدا عمن أحبها إذا انتابتها لحظات الغضب .

والرحيل نوع من الغياب قد يكون اختياريا وقد يكون قسريا ، لكن من المؤكد أن الرحيل له شأنه عند المحبين، فهو كالصخرة التي تسقط على قلوبهم وعقولهم ، وقد يغشى عليهم جزعا ، وحزنا على ذلك الرحيل الذي هو في حقيقته غياب، ونأي قصي.

ولم أر كالرحيل فأسا يدق أعناق الشعراء المحبين ؛ فتسيل حروفهم الشعرية ونصوصهم المؤلمة شلالا من الدمع والحزن، تعبيرا عن الفقدان (الغياب) لمن رحلوا عنهم .

وقد وجد هذا الأمر عند المعتمد بن عباد يصوره بقلب يقطر وجعا، وماء عين يسيل شجونا ، فيقول في مثل ذلك: (الكامل)[٢]

دَارَى الغَرَامَ ورَامَ أنْ يَتكتّما وأبَى لِسَانُ دُمُوعِه، فَتَـــكَلّـمَا
رَحَلُوا وأخْفَى وَجْدَهُ، فَأذَاعُه مَاءُ الشجُون مُصرّحا ومُجَمْجَما
وسَايَرْتُهُمْ والليْلُ غُفْلٌ ثَوْبُهُ، حَتى تَرَاءى لِلنواظِر مَعْلِمَـا
فَوقفتُ ثَمّ مُحَيّرا، وَتَسلّبَتْ مِني يـَدُ الإصْباح تِلْكَ الأنْجُمَا

والمعتمد بن عباد في هذه المقطوعة سار مسار بعض الشعراء المشارقة في محاولته لكتم الغرام ، وعدم إبدائه والإفصاح عنه، مع أنه شاعر عرف بإعلانه للحب ، ولوعة القلب، فمن يكتم الوجد ،

---

[١] المصدر السابق ، ص٣٤

[٢] ديوان المعتمد ،ص٣٦

ويكتم الدمع ماهو إلا شخص –غالبا– يخاف على إعلان حبه خشيه أن يؤذي محبوبته أو يخشى شماتة العذال به ، بيد أن المعتمد في سيرته لم يكن يعتد بذلك ، ولكن هنا كان يسير مسارا مشرقيا في بداية نصه، لذا (دار الغرام ، واخفى وجده) عند الرحيل الذي حتما سيؤدي إلى الغياب الذي قد يطول وقد يكون أبديا حرض الشاعر على الإفصاح والإذاعة، وهنا عاد الشاعر الأندلسي إلى ما عرف عنه من الجهر والإعلان فجاءت المفردات (فأذاعه ماء الشجون مصرحا ومجمجما) قوية تخرج مافي نفسه من الغفلة وتنبهه أن الغياب قد يطول فكيف له أن يتصبر فكانت هذه الدموع المصرحة و المجمجمة.

وتجدر الإشارة إلى ما في الوداع والفراق من شجون وأسى وألم وهو من الدواعي التي تثير وجدان الشعراء لقول الشعر: (ولما كان أحق البواعث بأن يكون هو السبب الأول الداعي إلى قول الشعر والوجد والاشتياق ، والحنين إلى المنازل المألوفة وألافها عند فراقها ، وتذكر عهودها ، وعهوده الحميدة فيها ...)[١]

والوداع إعلان للرحيل وللغياب ، والمعتمد بن عباد مثل غيره من الشعراء في كل زمان ومكان لا يطيقون الوداع وإشارات الرحيل،أو مشاهد الغياب ، وفي أكثر من نص صور لنا مشاهد الرحيل أو الوداع وكيف تعامل معه كما في النص السابق وكما في قوله كذلك : (الكامل)[٢]

أسَر الهَوَى نَفْسي، فَعَذّبَهَا يَوْمَ الوَدَاعِ، فَلمْ أطِقْ مَنْعَا
فَأذَابَ حُرَ صَبَابَتِي كَبِدي وأسَالَها في جُنّتِي دَمْعَا

وكقوله : (المنسرح)[٣]

يَوْمَ يَقولُ الرسولُ:" قَدْ أذنَتْ فَأْت على غيرِ رِقْبَة ، وَلِجِ! "
أَقْبَلْتُ أهْوَى إلى رحَالِهِمْ أُهْدَى إلَيْهَا بِرِيحِهَا الأرج.

وكقوله في فتاة كالشمس تركها خلفه كما ذكر ذلك في القلائد:(خرجت من إشبيليه وفي النفس غرام طويته بين ضلوعي كفكفت فيه غرب دموعي، بفتاة هي الشمس، او كالشمس إخالها، لا يحول قلبها ولا خلخالها، وقد قلت في يوم وداعها عند تفطر كبدي وانصداعها)[٤] وذكر النص وهو : (الطويل)[٥]

---

[١] منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجني ، تحقيق : محمد الحبيب بلخوجة ط٢ (بيروت–دار المغرب ، الإسلامي ١٩٨١م) ص٢١.

[٢] ديوان المعتمد ، ص٤٣

[٣] ديوان المعتمد ص٤٤

[٤] قلائد العقيان ١/ ٦٤

[٥] ديوان المعتمد ص٤٤

ولَما التقَينا للودَاَع غُدَيَّـــةً وقَدْ خَفَقَتْ في ساحة القصْرِ رَاياتُ
وَقُربت الجرْدُ العِتَاقُ وَصُفّقتْ طُبُولٌ ولاَحَـــتْ لِلفراق عَلامَـــاتُ
بَكَيْنَا دَمًا ، حَتّى كَأنّ عُيُونَنَا لجري الدّموع الحُمر منها ، جِرَاحاتُ
وكُنَا نُرَجّي الأوبَ بَعْدَ ثَلاثَة فكيفَ وَقَدْ طَالَتْ عَلَيْهَا زيادَاتُ ؟

وإن كان في القلائد لم يذكر إلا البيت الأول والثالث بينما في الديوان نجد أربعة أبيات وهي المدونة أعلاه . لكن كما يلحظ أن لمشهد الوداع أو الرحيل الذي سيخلف غيابا عن المعتمد ،القلب المغرم بفتاته قد أثر فيه كثيرا ، إذ صففت طبول الرحيل وحان النأي والفراق، فما كان منه إلا ان تشارك مع فتاته البكاء وأي بكاء ؟ إنه يشبهه بالدم ، فالعين لم تسكب إلا دماً حتى لكأن عيونهم من جري تلك (الدموع الحمر منها، جراحات) كل هذا كله وقد ظن الغياب لثلاثة أيام ، غير أن الغياب قد طال (فكيف وقد طالت عليها زيادات؟)

والصورة التي ذكرها المعتمد (حتى كأن عيوننا لجري الدموع الحمر منها ، جراحات) صورة تومئ باستشعار الشاعر للفقد، وعظم الأمر عليه في الغياب .

وهي صورة بصرية ينقلها الشاعر مع تضافر الصورة اللونية (بكينا دماً) و (الدموع الحمر) ليحكي لنا مشهداً وداعياً لم يحتمل المعتمد الوقوف على عتباته والنزف على وداعه . ولأن غياب تلك الفتاة قد طال وامتد في عرف المحب (المعتمد) نجده ومن كثرة التفكير بها، والتعلق بجمالها، يراها في منامه زائرة، فيقول (وقد زارتني هذه الليلة في مضجعي ، وأبرأتني من توجهي، ومكنتني من رضابها، وفتنتني بدلالها وخضابها)[١]

فقال في ذلك: (الطويل)[٢]

أبَاحَ لِطَيفِي طَيفُها فِي الكَرَى، الخَدّ... فَعَضّ به ثُفّاحَةً ، واجتَنَى وَرْدَا
وَألمتَنْي ثَغْرًا شَمَمْتُ نَسيمـــه فَخُيّلَ لي أنّي شَمَمْتُ به نـَدّا
ولو قَدَرَتْ زَارَتْ على حَال يَقْظَة ولكنْ حِجَابُ الَبْين ما بيننا مُـــدا
أمَا وَجَدتْ عنا الشؤونُ مُعَرّجا ؟ ولا وجدتْ منا خُطُوب النوى بُدا ؟
سَقَى اللهُ صَوْب القَطْر أمّ عُبَيْدةَ كَمَا قَدْ سَقَتْ قَلْبي عَلى حَرّه بَرْدَا

لقد فعل الطيف فعلته بالشاعر كما وإن أم عبيدة حاضرة ، ماثلة أمامه .

والطيف قد يحضر بشكل مكثف عند غياب الأحبة كمعادل ومواز لذلك الغياب، فيبث الشاعر كل مكنوناته وآهاته ولوعاته للغائب الحاضر (الطيف) ، وما صعب نواله في الواقع بسبب ذلك

---

[١] قلائد العقيان ١/ص ٦٥

[٢] ديوان المعتمد بن عباد ص٤٩

الغياب يمكن إثباته وفعله في الخيال (فصورة الطيف إذن حالة حلمية يستعيض بها الشاعر عن بعض أسباب الحرمان التي يفرضها الهجر والفراق)[١] ويبدو أن هذه الفتاة التي كانت كالشمس هي زوجه اعتماد الرميكية التي كانت معه في إشبيليه وقد سافر عنها إلى لورقة [٢] وغيابه عنها لم يكن بالأمر الهين عليه ، إذ جالت شؤون العين منه، وشعر القلب بالكمد من غيابها وفقدها وليس له إلا أن يدعو لها بالسقيا(كما قد سقت على قلبي على حره مجردا)

ولم يكن المعتمد الشاعر الوحيد الذي دعا بالسقيا لأحبته في شعره ؛ إنما نجد أن هذا الأسلوب يكثر عند الشعراء الأندلسيين ، ففعل السقيا (الماء) له أثره في النفس والوجد، وفيه ازهار للقلب ، ودعوة للانتشاء والفرح ، وإعادة للحياة بعد جدب ، أو إبقاء للحياة بشكل مستمر وقد تتخلل العلاقات الزوجية بعض النتوءات، وبعض الأحداث التي قد تسبب فقدان الاتزان فيها، فيحدث الهجر ، والنأي، والغياب كتعبير عن الشعور بالتغيير أو التحول أو التململ في تلك العلاقة وقد عبر عن هذا الأمر المعتمد في حركة شعرية لطيفة متأثرا في لحظة غياب الزوجه، فنسج نصاً شعرياً بدأ كل بيت منه بحرف من حروف اسمها يظهر ذلك إذا جمعناه أفقياً فتكون اعتماد ،فيقول في غيابها مشيرًا الى دس اسمها في شعره : (المتقارب)[٣]

أَغَائِبةَ الشّخْص عَنْ نَاظِري وحَاضرَةً في صَمِيمِ الفُـؤاد
عَلَيكِ السّلَامُ بِقَدْر الشّجُون وَدَمْع الشؤُون وقَدْر السّهَاد
تملكتِ مني صَعْبَ المرَامي وصَادَفْتِ ودّي سَهْلَ القِيَاد
مُرَادي لُقْيَاكِ في كل حين فيـا ليت أنّي أُعْطَى مُرَادي
أَقيِمي على العهدِ مـــا بَيْنَنا ولا تَسْتَـحِيلي لِطُول البِعَاد
دَسَسْتُ اسْمَكِ الحُلو في طي شعري وألّفْتُ فيه حُرُوفَ " اعْتِمَاد "

وكما يلحظ فـ (تشكيل الصورة التي رسمها الشاعر لزوجته اعتماد تتكون من الألفاظ (حاضرة ، غائبة ، الشجون، الدموع، السهاد) ، فالمعاناة تتجسد في بعدها عنه وعن ناظريه، وقربها في قلبه موظفا أسلوب الطباق بين (حاضرة وغائبة) في إظهار ذلك ، فنسق الصورة يوضح حالة الفراق الذي سبب له العذاب والدموع والسهر، وما بين رد العجز عن الصدر في قوله (مرادي) يكون المعنى تحقيق مناه في اللقاء ورؤية الحبيبة)[٤]

---

[١] السرد القصصي في الشعر الأندلسي، ص١٠٢

[٢] قلائد العقيان ٦٤/١

[٣] ديوان المعتد بن عباد ص٤٠

[٤] بواعث الحزن وتشكلاته الفنية في شعر المعتمد بن عباد أ.د. شيماء هاتو، (جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية عام ٢٠١٨) ع١،مج٣ ص٤٦٥

ويبدو أن الغياب ملازم للمعتمد في كثير من شعره وأحواله مع نسائه، فهو متأثر به حتى لو كان في مدة قصيرة ، والمرء المحب يرى في المدة القصيرة امتدادا طويلا عندما يحضر الغياب ، وما ذلك التأثر إلا لأن الحب كان منبعه الصدق ، يتغذى على الحضور واللقاء ويستعير عند البعد والنأي .

وإذا كان النص السابق قد ابتدأ بالغياب (أغائبة الشخص عن ناظري ..) فإنه في نص آخر يعيد مثل هذه المفردات وتلك العبارات وكأن فعل الغياب متورط مع ذلك المحبوب الذي تمكن من فؤاده ،فنقرأ له قوله : (الطويل)[١]

كَتَبتُ ، وعِنْدي مِنْ فرَاقِكِ مَا عِنْدي وَفي كَبِدي، ما فيه مِنْ لَوْعَة الوَجْد
وما خَطّتِ الأقْلامُ إلا وأَدْمُعِي تَخُطّ كِتَابَ الشَوْق في صَفْحة الخَد
ولولاَ طِلاَبُ المجد زُرْتُكِ طَيّه عَمِيدًا ، كَمَا زارَ النّدى وَرَقَ الوَرْد

إلى قوله:

أغَائبَةً عني، وحاضرةً مَعِي لَئِن غِبْتِ عَنْ عَيني فإنّكِ في كَبِدي
أقِيمي على العهد الذي بيننا فإني على ما تَعْلَمين مَن العَهْـــد

فنلحظ الاستفهام الحاضر هنا (أغائبة عني) هو الاستفهام ذاته في النص السابق، وإن كان هناك (وحاضرة في صميم الفؤاد) فهنا (لئن غبت عن عيني فإنك في كبدي) وإن كان هناك طلب بـ (أقيمي على العهد الذي كان بيننا..) فإن هنا (أقيمي على العهد الذي كان بيننا..) إن تلاقي هذه المفردات وتكرارها بمعانيها دلالة على أثر فعل الغياب على الشاعر ، فهو لا يطيقه ولا يحتمله ، وإن كانت حاضرة وشاخصة في حنايا الفؤاد.

وقد يتشكل الغياب في صورة الخوف من الحضور فيغيب المحبوب قسراً خوفاً من أمور قد تسبب له مشاكل فيما بعد، وقد أشار المعتمد بن عباد إلى بعض هذه الامور التي تعيق صاحبته من الحضور وتسلمها إلى الغياب عنه ، فقال : (البسيط)[٢]

ثلاَثَة مَنَعَتْها عَـــنْ زيـــارَتِنا : خَوْفُ الرّقيب ، وخوفَ الحَاسدِ الحَنِقِ
ضُوْءُ الجَبِين ،ووَسْواسُ الحَلِي ومَا تَحْوِي مَعَاطِفُها من عَنْبر عَـــبِـــق
هَبِ الجبينَ بِفَضْل الكُمْ تَسْتُرُه والحَلْيَ تَنْزَعُهُ : ما حيلةُ العَـــــرَق ؟!

فالخوف –هنا –هو المصدر الأساس لغياب المحبوبة عن لقاء الشاعر المغرم ، ولا غرابة في ذلك فالمرأة –غالبا– تحمل هم من قد يراها ويفضح أمرها، كالرقباء ، ومع أن المرأة الأندلسية – كما

[١] ديوان المعتمد ص ٤١

[٢] ديوان المعتمد بن عباد ص٤٣

ذكر سابقا – تتمتع بالحرية والجرأة ، فإننا نجد منهن من كانت تخشى على نفسها من إعلان الحب، أو مواصلة المحبوب علناً خوفاً من الرقباء أو الحساد أو غير ذلك من مخاوفها .

وإعراض المحبوبة مشاع في الشعر العربي، وقد لا يجد المحب مبررًا لذلك الإعراض من قبلها، ومن المؤكد أن ذلك الإعراض له ما يبرره عند الحبيبة ولكن كثيرا من الشعراء لا يذكرون ذلك، بل لا يرون ذلك السبب ؛ في محاولة لتهوين الأمور وأنه مهما يحدث فإنه على المحبين تصغير كل شيء وأن لا يعاقب أحدهما الآخر بالهجر والغياب ، والمعتمد بن عباد قد واجه إعراضا من محبوبته وقد ضايقه هذا الأمر ، فذكر ذلك في بيتين : (السريع)[١]

يا مُعْرِضًا عَنّي ! وَلِمَ أجْن ما يُوجِـبُ إعْرَاضًا ولا هَجْرا

قَدْ طَالَ لَيْلُ الهَجْر، فَاجْعَلْ لنا وصْـلكَ فِي آخـرِه فَجْرا

وتمتد لغة التمني للعودة إلى سابق العهد من الوصل ومد حيل القرب بعد النأي والتناسي ، فنجد تأكيد معنى الوفاء عند المعتمد يتكرر و أنه ليس بالشخص الذي يسلو أو يرضى بالبعد والغياب ، فيقول شارحاً وضعه من ذلك الفراق، وذلك الغياب: (مجزوء الكامل)[٢]

أنّا في عَذَاب مِنْ فرَاقِك سكْرِانُ مِنْ خمْر اشتياقكْ

صَبّ الفـؤادِ إلى لقـــا ئِكْ ، وارتشافِك ، واعتناقكْ

لا تِحْسَبي أنّي سلـو تُ لمـــا تَوَالى من فراقكْ

هذي جُفُوني أقْسَمَتْ لا تلتقي ، ما لم تُـــلاَقِكْ

فَصلي جَمِيلَ الظّن بِي، وثقي، فَقَلْبِي في وثاقكْ

فـ(اشتياقك ، ولقائك، واعتناقك، فقلبي في وثائقك) كلها توحي وتؤكد على شوق الشاعر، ووفائه لهذه المحبوبة التي رضيت بالغياب، والهجر بدل الوصل ، وليس للشاعر إلا الترجي وطلبها بأن تظن به الظن الجميل فقلبه في وثاقها ولن يتزحزح .

وهكذا نجد أن حال المرأة والحب عند الملك الشاعر المعتمد بن عباد كان في دائرة الغياب لديه، ولهما أثرهما الكبير في شعره وإن كان أغلب تلك النصوص جاءت على هيئة مقطعات شعرية بيد أن المعتمد قد ظهر عليه فعل (الغياب) ، وتأثر به ، فجاءت نصوصه تحكي معاناة غياب المرأة (الحبيبة) أيا كانت زوجة (اعتماد الرميكية) أو من بعض جواريه المقربات كـ (جوهرة) و (وداد) .

---

[١] المصدر السابق ص ٥٤ .

[٢] المصدر السابق ص ٥٦

وقد جاءت مجمل هذه النصوص في لغة سهلة ، وسلسة ، رقيقة ، بعيدة عن الغرابة ، والوحشية كما عهدنا هذا الأمر عند كثير من شعراء الأندلس في غرض الحديث عن المرأة أيا كان غزلاً ،أو شوقاً ، أو وصفاً ، لما يتناسب مع رقة المرأة وليونتها ، كما هو مناسب لفقدان المرأة (الحبيبة) حال غيابها وأثره عليه؛ لذلك جاءت بعض المفردات مكررة عنده تعبيراً عن ألمه، وحزنه، وسلب شؤون دمعه في عدم تحمل ذلك الغياب تمثل تكرار المفردات التالية : (شؤون العين ، والدمع، والشجن، والنوى ، والغياب ، والكلمة .. الخ) وكلها مفردات تدل على أن الغياب كان حاضراً في حياة المعتمد منذ بدايته وهو في نزقه و ترفه ولهوه, إذ عانى منه ولم يجد تلك الراحة التي كان يظنها بعضهم كونه ملكاً وذا جاه ،وأغلبهم ربط ألم الغياب عند المعتمد في كونه فقد وطنه (إشبيليه) ونفي عنه إلى سجن أغمات فغاب عنه الوطن وخرجت منه كل تلك النصوص المؤلمة والحزينة في سجنه بسبب ذلك الفقد، وذلك الغياب، ولكن بالنظر إلى شعره نجد أن فعل (الغياب) كان ماثلاً وحاضرا عنده حتى وهو في مراحل لهوه وشبابه ، وكأن الغياب يأبى أن يفارقه ومضى معه إلى آخر حياته ، وكأنه يعطينا درساً مفاده : أن ما نتحدث عنه في مراحل حياتنا سيبقى معنا إلى آخر لحظة مصاحبا لنا .

ثانياً – حال الوطن وضياع الملك والعز :

ما من أحد سمع بالمعتمد بن عباد إلا وربطه بضياع ملكه ووطنه (إشبيليه) ، وسجنه في أغمات على يد الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين ،وقصة الملك المعتمد مع يوسف بن تاشفين متناوله بشكل متسع في كل مصدر أو مرجع تحدث عن الأندلس أو عن شخص الملك تحديداً .

فعندما توفي والده المعتضد سنة (٤٦١ هـ) أمسك المعتمد بزمام الحكم، وكان كغيره من بقية ملوك الطوائف الذين مالوا الى اللهو وانغمسوا في ملذاتهم ومسراتهم ، وكانت النصارى من حولهم بالمرصاد تترقبهم بعيون مفترسة ما إن يروا مدينة ضعيفة الحكم ، هشة في تماسكها حتى انقضوا عليها وسلبوها من أيديهم ؛ لذا وجدناهم – وللأسف– يدفعون الضرائب والمال إلى ألفونس السادس ملك قشتالة حتى يسكت عنهم ويتركهم في ممالكهم وحكمهم بيد أن الأمر زاد عن نصابه ، وكثر ضرب هؤلاء النصارى على ملوك الطوائف ومن بينهم المعتمد بن عباد الذي أجمع أمر هؤلاء الحكام (مع الفقهاء على استدعاء يوسف بن تاشفين أمير المرابطين، ولباهم وكتب لهم معه النصر المؤزر في الزلاقة ، وعاد يوسف الى بلاده، وعاد المعتمد وغيره من أمراء الطوائف إلى اللهو والقصف والانغماس في اللذات)[١] فعاد يوسف بن تاشفين وضم جميع مدن الأندلس إلى مملكته في المغرب، فبدأ عندها عصر المرابطين، وقد قاومه من قاوم من حكامها كالمعتمد بن

[١] عصر الدول والإمارات (الأندلس) ، د.شوقي ضيف(القاهرة: دار المعارف) ص ٣٤٠

عباد، ومنهم من فر، وهناك من استسلم سريعاً ،أما المعتمد فقد قاوم كثيرا(ولم تنفعه مقاومته فاستسلم، وأمر ابن تاشفين بنفيه مع أهله الى المغرب ، فنقلوا بالسفن من إشبيليه إلى طنجة، ومنها إلى مدينة مكناس، وأخيرا إلى أغمات بالقرب من مدينة مراكش)[١]

ولا شك في أن ضياع الملك والعز والسلطان والمجد من يد شخص تربى ونشأ على ذلك الكرسي المدبج بالتعظيم والتضخيم ليس بالأمر الهين على المرء وقد أثر ذلك في المعتمد كثيرا ، ووجد هذا الأثر ملحوظا في شعره من بكائيات غزيرة ومتدفقه على ذلك الضياع؛ فالصدمة كانت كبيرة عليه، إذ حل غياب الوطن ، والكرسي، والزهو، والنعيم، والمجد عن ناظريه، فلم يعد يبقى له غير حروفه الشعرية ينظمها بكاء، وأناشيد يستعرض فيها وجعه وحياته الماضية بما يقابلها من واقع مرير لا يستطيع أن يتحمله أو يتقبله؛ فضلًا عن استشعاره الدائم بالغربة في هذا المكان الذي لا يليق به البتة، فنسمع له يقول في حاله بعد غياب وطنه ، ومجده عنه: (البسيط)[٢]

غَرِيبٌ بأرض المغربين أسير سَيَبْكِي عليهِ مِنْبَرٌ وسَرِيرُ
وتنــدُبُه البِيضُ الصّوارمُ والقَنا، ويَنْهلّ دمعٌ بَيْنَهُن غَزيرُ
سَيَبْكيه في زَاهيه والزاهرٌ الندى ، وطُلاَ بُهُ والعَرْفُ ثم نَكِيرُ
إذا قِيل في أغمَات قد مات جُودهُ، فَمَا يُرْتَجي للجود بعد نشُورُ
مَضَى زمنٌ والملكُ مُستأنسٌ به ، وأصبح مِنْه اليوم وهو نَفُورُ
برأيٍ من الدهر المُضلل فاسدٍ متى صَلُحَتْ للصالحين دُهُورُ؟
أذلّ بني ماء السَماءِ زمانُهم وذُلّ بني مَاء السماء كبيرُ
فما ماؤها إلا بُكاءٌ عليهم يَفِيض من الأكبادِ مِنْهُ بحورُ

إن غياب الوطن وغياب روحه عنه وعن مملكته قد اشعرت المعتمد بالغربة، فكيف وهو يقطن السجن مكبل، لا قدرة له على العودة والتمتع بما كان فيه ؟ ولأن الغياب كبير جداً ، والمصاب عظيم جداً عليه، فإنه لا محالة سيحضر في النص كل المفردات التي تنتمي إلى فعل الغياب والأثر الناجم عنه من مثل :(سيبكي – وتندبه – والذل – .. الخ) ، فالملك لم يضع وحده ولم يغب وحده ؛ بل العز أيضا والهوية الوطنية بالنسبة له ، كما غاب عنه السرور والرضا وحل محله الندب والذل ، والبكاء والدمع .

والأمر ليس قاصرا على البكاء على هذا الغياب من قبل الملك الشاعر ، إنما تعداه إلى كل ما فقده من قصور، وبساتين ،وزوار قصوره وطالبيه من المعروف والرضا (سيبكيه في زاهيه والزاهر

---

[١] المرجع السابق ، الصفحة نفسها

[٢] ديوان المعتمد ص١٧١.

الندي وطلابه والعرف ثم يكبر) ، وستندبه (لبعض الصوارم والقنا ، وتنهل دمع بينهن غزير) فالأمر تفاعلي بينه وبين وطنه ومملكته ، كلاهما يشتاق ويشعر بالغياب لذا نجد الدمع هنا وهناك، والوجع واحد هنا وهناك، والفقد واحد هنا وهناك وكأن المكان (إشبيلية) هي الجسد والملك المعتمد هو الروح وأنى لجسد أن يعيش بدون روحه ؟

هذا ، ونلحظ كم لعبت (المقابلة والمقارنة بين الزمنين الماضي والحاضر دوراً أساسيا في تنمية المفارقة وتضخيم الصورتين المتناقضتين الصورة السلبية والصورة الإيجابية)[١] ، كما نلاحظ بعض استعمالات الجناس التي أدت دورها البلاغي والصوتي من مثل (غريب – المغربين) ، (أسير – سرير)جناس ناقص ولكنه يظهر بون المشاعر بين الحالتين في الماضي السعيد والحاضر المنكوب.

ولأن نفس المعتمد عزيزة عليه فإن الذي حصل له بعد سجنه ونفيه قد أثر فيه كثيراً، وأخذ يكرر هذا الأمر في الأسر والسجن ، وما ذلك إلا لفداحة الخطب الذي ألم به هو وأهله ، ومن ذلك قوله في الرد على أبي بكر الداني (الشهير بابن اللبانة) الذي أرسل له وهو بأغمات قصيدته ذات المطلع : [٢]

وداع ولكني أقول سلام وللنفس في ذكر الوداع حمام

ورد عليه المعتمد بقصيدة تقع في ثلاثة عشرا بيتاً مشيراً في نهايتها إلى أثر الذل الذي صار عليه بعد غياب العز الذي كان فيه : (الطويل)[٣]

وأَبْقَى أسامُ الذلّ في أرض غُرْبَةٍ ومَا كنتُ لولاَ الغدرُ ذَاكَ أُسَامُ

كما يقول في نص آخر مشيراً إلى ذلك الذل الذي نزل به بعد غيابه عن وطنه ومجده وبعد اقرار وتسليم بحمد الله تعالى : (الطويل)[٤]

وكُنَا إذا حانت لحرب فَريضَةٌ ونَادتْ بأوقات الصلاةِ طُبُولُ

فيا لها من مفارقة عجيبة هذه المفارقة هي التي جعلت الشاعر يستعمل المقابلة بين الحالين بين الزمنين الماضي والحاضر، الماضي المتشرب بالعز والنصر والحكمة، والواقع الموبوء بذل الكبول.

---

[١] الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، فاطمة طحطح ،(المملكة المغربية ،جامعة محمد الخامس،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رسائل واطروحات ١٩٩٣م) ، ص١٨٩

[٢] ديوان المعتمد بن عباد ص١٧٧

[٣] المصدر السابق الصفحة نفسها

[٤] ديوان المعتمد بن عباد ص١٧٩

وفي غياب للعز وحضور للذل يكتب المعتمد إلى صديقه الشاعر ابن حمديس الصقلي معتذراً له على فعلة خادمه الذي منعه من الدخول إليه بعد أن قصده ابن حمديس في زيارة له في أغمات، فقال المعتمد في ذلك : (الطويل)[١]

حُجِبْتَ فَلَا والله ، مَا ذاكَ عَنْ أمْري، فاصْغ فَدتْكَ النفْسُ سمْعا إلى عُذْرِي
فَمَا صَارَ إخْلَالُ المَكارم لي هَوًى ولا دارَ إخْجَالٌ لِمِثلكَ في صدري
ولكنهُ لَما أحَـالَتْ مَحَـــاسني يَدُ الدهر، شُلتْ عنك دَأبا يدُ الدهرِ
عَـدمِتُ مِنَ الخُدام كُلّ مُهَذّب أُشِيرُ إليه بالخفـــي من الأمـرِ
ولمْ يبقَ الا كُلّ أَدْكَن أَلْكَـــن فَلاَ آذنٌ في الإذن يَبْرأ من عسـر

وهكذا يمضي المعتمد في نصه معتذراً وشارحاً لصديقه ابن حمديس وضعه الذي آل إليه من عدم التمكن من السيطرة على الخدم كما كان سابقاً مع إيعاز الدهر كل ما أصابه ، فيد الدهر كانت قوية عليه أنزلته قاع الذل بعد تاج العز .

عَدمتُ من الخُدام كُلّ مُهَذّب أُشِيرُ إلـيه بالخفي مـن الأمْرِ
ولمْ يبقَ إلا كُلّ أَدْكَن ألكـَن فَلاَ آذنٌ في الإذن يَبْرأ من عسر

وفي صوره كسيفه يعمها الانكسار والهزيمة يتحدث المعتمد عن وجعه وانكساره بعد دخول بناته عليه وعليهن أطمار من الثياب بعدما كن يلبس الحرير الغالي النفيس، (كأنها كسوف وهن أقمار، ، يبكين عند التساؤل ويبدين الخشوع بعد التخايل ، والضياع قد غير صورهن ، وحير نظرهن، واقدامهن حافية ، وآثار نعيمهن عافية)[٢] فهاله لما رآه من صورة بناته ، وما آل إليهن الحال من غياب لأثر النعمة والثراء ، وظهور الشقاء والبؤس عليهن فقال : (البسيط) [٣]

فِيمَا مَضَى كُنْتَ بالأعْيَادِ مَسْرُورا فَسَاءكَ العيدُ في أَغْمَاتَ مَأسُورا
تَرَى بَناتِكَ في الأَطْمارِ جَائِعةً يَغْزلنَ للنّاسِ ما يَمْلكن قطْمِيرا
بَرَزْنَ نحوكَ للتسْليمِ ، خَاشعةً أَبْصَارهُنّ ، حَسِيرَاتٍ مَكَاسِيرا
يَطأن في الطينِ والأقْدامُ حَافِيةٌ كَأنّها لم تَطَأ مِسْكا وكَافُورا
لا خدّ إلا تشكي الجدبَ ظَاهرهُ وليس إلا مع الأنفاسِ ممْطُورا
أفطرتَ في العيد ، لا عَادتْ إساءتُهُ فَكَان فطرُكَ للأكبادِ تفْطِيرا
قد كَانَ دهرُك إنْ تأمُرْه مُمتثِلا فَردّكَ الدهرُ منْهيًا ومَأْمُورا

---

[١] المصدر السابق ص ١٧٢

[٢] قلائد العقيان ٩٥/١

[٣] ديوان المعتمد ص١٦٨

مَنْ باتَ بعْدَك في مُلْكٍ يُسرّ بهِ فإنما بات بِالأحْلام مَغْرورا

يلحظ في النص السابق كمية المفردات التي تضج بالحسرة والوجع من قبل الشاعر على حاله وحال بناته وأهله من بعد الضياع وغياب ملكه وأمواله مما أدى إلى انكسار بنياته في مشهد يفيض وجعا وانكسارا وتهشيماً لروحه ، وما من وجع كوجع الأب عندما ينظر لبناته وقد تغير بهن الحال من بعد عز وترف إلى ذل وشقاء

كل ذلك أدى الى انفطار المعتمد وإثارة لواعجه وحزنه معاً ، فجاءت لغته معبرة تشهد ذلك الوجع، و (أعظم شيء في شخصية المعتمد أنه يستطيع في مواقف تنعدم فيها اللغة لفظاعتها ولشدة وقعها أن يترجمها إلى شعر ينبض بجوها المشبع بالألم والحسرة والحزن في أبيات مطبوعة لا تلمس فيها تكلفا أو تصنعا)[١] كما في الأبيات السابقة.

ونلحظ أن القصيدة قد بنيت على البحر البسيط (وقد استطاع الشاعر أن يطور هذه الشكوى المريرة – بواسطة تقنية الموسيقى – إلى بناء شعري مميز كشف عن واقعه وأوصل إلينا تجربته ذات الطابع الفريد وجعلنا نشاطره أحزانه وآهاته بعد أن جرّد من نفسه شخصا آخر بدلالة " كنت – ساءك ...إلخ وهذا ما يعرف بالتجريد الذاتي وله نظائر في الشعر العربي القديم وقد التحم البعد الدلالي مع الهندسة الصوتية ليقدم لنا معانيه ومعاناته تقديما شعريا آسرا)[٢]

ويستمر المعتمد بن عباد في تصوير غياب الحكم والعز عنه في كثير من نصوصه التي قالها إبان أسره وسجنه ، مما يدل على أثر ذلك الغياب الذي قصم ظهره ، وجعله يئن بسببه ، فخذ مثلاً قوله في رده على ابنه الرشيد الذي أرسل له بأبيات يستعطفه فيها كان مطلعها[٣]

يا حَليفَ الندى ورب السمَاحِ وحَبِيب النفوس والأرواح

فأجابه المعتمد إجابة يبدو فيها أثر غياب المجد والملك والعز عنه ، فقال في مفارقة ومقارنة بين الحالين الماضي والحاضر ، ما كان عليه قديماً وما هو عليه الآن : (الخفيف)[٤]

كُنْتُ حَلِف النّدَى وربّ السّماحِ وحَبِيب النّفــوسِ والأَرْواح
إذْ يَميني للبذْلِ يَومَ العَطَايا ولقبْض الأرواحِ يومَ الكِفاح
وشِمَالي لقَبْض كُلّ عنان يُقْحِم الخَيْلَ في مجال الرماح

---

[١] الشكوى في شعر المعتمد بن عباد :اتجاهاتها وفنيتها، أحمد مقبل أحمد المنصوري، (مجلة كلية الآداب ، جامعة صنعاء ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية)ع٥، ٢٨،٢٠٠٥م، ص ٩٨

[٢] تجربة الأسر في شعر المعتمد بن عباد الإشبيلي ت٤٨٨هـ :دراسة المضامين والخصائص الأسلوبية ، جامعة ذي قار – كلية الآداب ،ع١٧، ٢٣،٢٠١٧م ، ص ١٠٧

[٣] ديوان المعتمد بن عباد ص١٥٧

[٤] المصدر السابق ، الصفحة نفسها

و أنا اليومَ رهنُ أسرٍ وفقرٍ مَسْتبَاح الحِمى ، مَهِيَضُ الجَنَاح

إنه نص يشعرك صاحبه أنه بلغ مبلغه من الذل والإهانة التي لم يكن يتوقعها وهو الملك النبيل ، المعطاء الذي يأتيه وينشده الشعراء من كل اتجاه لما علموه عنه من كريم العطايا ، ونبل السخاء ، لكنه اليوم رهن الأسر والفقر ، مستباح الحمى ، مهيض الجناح .

ومفردات الذل والفقر من المفردات والدوال المتكررة عند المعتمد في شعره الذي قاله في سجنه مما يعطي إشارة إلى أن غياب الرفاهية التي كان يعيشها المعتمد وأهله قد أثرت فيه كثيراً ، وفي استحضار الماضي الجميل الذي كان فيه هو السيد والحاكم يغرف من حوله من ماله وكرمه لكن دوام الحال من المحال ، وفي ذلك يقول باكياً ما آل إليه من ذكر للذل والفقر كالنص السابق قوله: (البسيط)[١]

أصْبحتُ صفرًا يديّ ممّا تَجُودُ بهِ ما أعْجبَ الحادثَ المَقْدورَ في رَجب

ذُل وفقرٌ أزَالاَ عِزّةً وغنــى نُعْمى الليّالي مَنَ البلْوى عَلَى كَثب

إنها تناقضات الحياة ومفارقات الزمن اللتان حولتا المعتمد من ملك إلى أسير ، ومن غني إلى فقير، وقد تعاضدت الألفاظ المتضادة في توصيل المعنى المؤلم الذي كان يعتلج صدر الشاعر من مثل (ذل وفقر – عزة وغنى) و (نعم الليالي والبلوى على كثب) ، (لقد هوى المعتمد بن عباد من قمة المجد إلى حضيض الأسر ، فكانت شكواه وغربته متميزة، وكان تعبيره متميزاً أيضا ، ومتنوع الأشكال ، لكنه دوماً يتمحور حول مضمون واحد ، هو : المقارنة بين الماضي العزيز والحاضر الذليل)[٢]

ولا شك في أن هذه المقارنة ليست غريبة ولا متعجبة ،فمن كان على حال المعتمد من ملك وجاه وسلطان وقد تغلب عليه الحال ، وحال عليه الذل والفقر أن يكثر في شعره من حديث الزمنين الماضي والحاضر ، وأن يدور شعره عنهما ، ف (الماضي عند الشاعر ، هو الجنة المفقودة ، والعز المنهار ، هو الوجود الحقيقي الكامل ؛ لذلك فهو لا يمل من استرجاع هذا الماضي واستحضاره ، وتمني عودته واللهفة عليه ، وإرسال التمني تلو التمني، والنداء تلو الآخر ، في إصرار وتكرارية، يمنح تجربته بعداً شاملاً ، ويكسبها رسوخاً وتجذرا)[٣] كما (وهاتان الحالتان ظلتا متلازمتين للشاعر طول سنيه في أغمات وقد راعى المعتمد في حركة قصائده سير الزمن

---

[١] ديوان المعتمد ص١٩٠

[٢] الغربة والحنين في الشعر الأندلسي ،ص ١٨٩

[٣] الغربة والحنين في الشعر الأندلسي ، ص١٨٩

الخارجي كما في قصيدته " فيما مضى كنت .." و " كنت حلف الندى " حيث تبدأ من نقطة في الماضي ثم تحول إلى الحاضر ومن هنا تسير القصيدة في حركة أفقية متوافقة مع الشعور النفسي الذي ينظر إلى الوراء في أغلب الأحيان[١] (و غياب الوطن والملك والمجد بطبيعة الحال يستدعي الدمع والبكاء والشجن، وكثيراً ما استعمل المعتمد المفردات الدالة على تلك المشاعر وتلك الأحاسيس المتهيجة في نصوصه كل ذلك ؛ليعبر به عن أثر غياب كل ذلك في نفسه ، ولا لوم عليه ، فهو الشاعر الملك المرهف، العربي النبيل الأصيل الذي يرفض بطبعه وفطرته أن يسلب من وطنه وملكه ويغيّب في سجن بعيد عن كل ذلك ، ويذوق مرارة الفقد والغياب في كل لحظة. وإن كان المعتمد في كثير من هذه النصوص يستبكي قصوره ومواطن لهوه وعزه ، فإن ذلك –في نظري– ماهو إلا انعكاس لعظم الغياب والفقد الذي يعيشه، كما وأنه لم يعد هو الوحيد الذي يبكي أمكنته إنما نجد أمكنته ووطنه بأكمله يبكيه ويبكي غيابه إذ شهدت معه أجمل اللحظات وأصدق المشاعر والحب، وفي غيابه شعرت بالذل والهوان، فنسمعه مثلاً يستبكي قصوره قائلاً:(البسيط)[٢]

بَكَى المُباركُ في إِثْر ابْن عَبّاد بَكَى على أَثْر غِزْلانٍ وآسَادِ
بَكَتْ ثُرَيّاهُ لا غَمّتْ كَوَاكِبُها بمثل نَوْءِ الثّريا الرائِحِ الغَادي
بَكَى الوحيدُ ، بَكَى الزّاهِي وقبتُهُ، والنّهْر ، والتّاجُ ، كُل ذُلُه بَادِي
مَاءُ السّماء على أبنائه دُرَرٌ ، يَا لُجّةَ البحر دُومِي ذَاتَ إِرْبَاد

(وهكذا انسحب الألم والشوق اللذان في قلب الشاعر إلى الأمكنة التي يحن إليها ، انسحبت المشاعر حينما سمع المكان خفقات قلب الشاعر)[٣] ف (إناطة البكاء إلى الأمكنة تشير إلى حتمية الفقد وإلى الرغبة العارمة في الارتباط بها والعودة اليها مرة أخرى ، إذ شهدت تلك الأمكنة ببساتينها وأنهارها وقصورها عزه وعز ملكه ، فكأنه يستصرخها ويستنطقها حتى تبكي زوال ملكه ، فكان بحق أن يوصف أنه من الشعراء الذين وقفوا واستوقفوا وبكوا واستبكوا كما قيل عن الملك الضليل امرئ القيس إنه اول من بكى واستبكى ، ووقف واستوقف[٤]

ولا يفوتنا أسلوب التكرار اللفظي الذي استعمله الشاعر في نصه السابق الذي أثرى به نصه ، فعلى الرغم أن التكرار يتضمن وظائف وأبعادًا أسلوبية أو بنائية أو إيقاعية في كثير من الأحيان

---

[١] تجربة الأسر في شعر المعتمد بن عباد الإشبيلي ت٤٨٨هـ :دراسة المضامين والخصائص الأسلوبية ، ص ٨٦

[٢] ديون المعتمد ص١٦١

[٣] المكان في الشعر الأندلسي، عصر ملوك الطوائف ،أمل محسن العميري،ط١،(الانتشار العربي –بيروت–لبنان ٢٠١٢م) ص ٧٦

[٤] المرجع السابق ، ص٧٧

في القصيدة ، إلا أنه ينطوي على إشارات موضوعية أو معنوية في أحيان أخرى)[١] ، والمعتمد في نصه السابق كرر مفردة البكاء (بكى) أربع مرات، مما يوحي برفض الشاعر للحالة التي آل إليها، ويوصل لنا نغمة البكاء التي فاض بها قلبه .

وعندما يغيب الفرح ويتوارى عن الأعين ، فإن النفس –غالباً– ستميل إلى الزهد في الدنيا ، بل وتدعو له أحياناً ، وهذا ما وقع فيه المعتمد؛ فنقرأ له بعد أن طلب من الوزير

أبي العلاء زهر بن عبدالملك أن يعالج زوجه اعتماد ويطالع أحوالها بنفسه وهم في أغمات، فأجابه الوزير بالقبول والترحاب في رسالة داعياً له بطول البقاء ، غير أن المعتمد تأمل هذه الدعوة وقال حولها شعراً يظهر فيه زهده وعدم رغبته في طول البقاء على هذه البسيطة ، فما حاجته للبقاء وقد فقد كل شيء وغاب عنه الفرح والسرور في

أحضان مملكته ، فقال في بعض قصيده : (الوافر) [٢]

دَعَا لي بالبقاءِ وكَيْفَ يَهْوى أَسِيرٌ أنْ يطولَ به البقــاءُ

أليسَ الموتُ أَرْوَحَ من حياةٍ يَطُولُ على الشقيّ بها الشقاءُ؟

فَمَن يكُ من هواهُ لقاءُ حبّ ، فإن هَوَاي من حَتْفِي اللقَــاءُ

أ أ رغب أنْ أعيشَ أرى بناتي عَوَاريَ قد أضَرّ بها الحَفَاءُ ؟

خوادمَ بنتِ منْ قد كَانَ أَعْلى مرَاتبه – إذا أَبْدُو – النـدَاءُ

إلى أخر النص الذي يشعرك فيه بغياب الفرح عنه ونفي السرور عن حياته ، وحضور الحزن والشقاء عليه وعلى أهله وكل ذلك بسبب غياب ملكه ومملكته عنه.

وما المفردات (أسير ، الموت ، الشقاء ، خوادم ...) إلا دلالة على غياب ذلك الفرح وتلك البهجة

التي كان ينعم بها شاعرنا الملك ، وحضور كل مفاهيم الحزن والشجن والبقاء على قلبه وحياته ومن ثم حضور الزهد في الدنيا ، فملك مثله لا يستطيع أن يرى حياته قد انقلبت هكذا ورؤية بناته في مشهد خوادم وقد بدا عليهن الذل والمهانة ، فإذا انتفى عنه وعن بناته العيش الرغد؛ فالموت بالنسبة إليه هو الأجدى، وما من سلوى له إلا علمه بأن (الكل يدركه الفناء) كما قال في آخر نصه: سيُسْلي النفس عمن فات ،علمي بــأنَ الكُلّ يُدْركُـه الفناءُ

وهكذا مارس الغياب سطوته على الملك الشاعر فرأينا شعره وهو يقطر حسرة وحزناً وأسى وشجن وعدم رغبة في البقاء على هذه الحياة لما رآه من الذل والمهانة ولولا ذلك الغياب القاتل لما شهد في

---

[١] الشاعر الغاضب محمود درويش ، أحمد الزغبي ، ط١ ، (دائرة المطبوعات والنشر ١٩٩٥ م)ص٧٣

[٢] ديوان المعتمد بن عباد ص١٧٦

شعره كل هذه الكمية من الشجن ، واللوعة والميل إلى عدم البقاء وتمني الموت خفية حتى تنقضي عنه كل تلك المشاعر السلبية تجاه ما حدث له .

هذا وقصائد المعتمد كما وصفها المستشرق اميليو غرسيه غومس التي قالها (في منفاه في أغمات وصور فيها مرارات السجن وآلام النفي تعد من أروع ما لدينا من غرر الشعر العالمي)[١]

ثالثاً – حال الأهل والأبناء والرفقة :

مما لا شك فيه أن المرء عندما يغيب عنه أهله ورفقته المقربة إليه عن حياته إما موتاً أو هجراً أو سفراً ؛ فإن ذلك كله سيثير شجونه وحزنه ، وقد عانى المعتمد بن عباد من غياب بعض أهله عنه، وأعني بعض إخوانه وأبنائه فلذة كبد إذ فقدهم بالموت ؛ فجاء شعره مصوراً مشاهد الحزن عليهم وبكاءه على غيابهم وفقدهم ، ومن ذلك قوله في أخويه المأمون والراضي اللذين قتلهما جيش يوسف بن تاشفين بـ (رنده) وقد أوصوه بالصبر على هذه النائبة فرد في مطلع القصيدة بأنه لا طاقة له بالصبر على فراقهما وغيابهما عنه : (الطويل)[٢]

يَقُولونَ صبراً ، لا سبيلَ إلى الصّبر سَأَبْكِي وأَبكي ما تَطَاول من عُمْري

نَرَى زُهْرها في مأتمٍ كلّ ليلـةٍ يُخْمّشنَ لَهَفًا وَسْطَهُ صفحةَ البدر

لقد وقع الغياب فحل البكاء والدمع منه ومن كل ما حوله:

يَنُحْن على نَجْمَين أثْكَلَنَ ذا وذا ، ويا صبرُ ما للقلبِ في الصّبرِ من عذر

مَدى الدهرِ ، فَلْيَبك الغمامُ مُصَابه بِصنْويه يُعْذَر البكاء مَدى الدّهر

بعين سحاب واكفٍ قَطْر دَمْعها على كُلّ قبرٍ حَلّ فيه أَخُو القَطْر

وبرقٍ ذكِيّ النّار حتى كَأنّمَـا يُسَعّرُ مِما في فُؤَادي مِنَ الجَمْر

ويلفتنا استعارة المعتمد بن عباد لبعض جوانب الطبيعة من حوله لتساعده في البكاء وكأن دمعه لا يكفي، فالغمام مصاب بهذا الغياب وله أن يبكي على هذين النجمين مدى الدهر، والبرق يتقد جمراً كأنه يسعر مما في فؤاده من جمر الفقد.

إن كل ما حول الشاعر يتقد ويشتعل ويتلو حزناً ويفيض دمعاً على فقد هذين الأخوين؛ فإن حل الغياب فعلى الدمع وكل مفردات الشجن والبكاء أن تحل وتحضر في نصه .

ومما يزيد من حرقة الشاعر موت هذين الأخوين وفقدهما وهما في سنٍ صغيرة :

تَوليتُمَا والسّن بعدُ صغيرةٌ ، ولم تَلْبثِ الأيامُ أن صَغّرتْ قَدْري

---

[١] تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ ،دار العلم للملايين، بيروت – لبنان ١٩٨٤م)٤/ ص٧١٥

[٢] ديوان المعتمد بن عباد ص١٦٢

وتمضي القصيدة ولا نرى منها غير شلال الدمع والبكاء والحسرة والتأبين على هذين النجمين (المأمون، والراضي) في صورة ولغة تفيض بالمشاعر المتألمة والمتأججة بالحرقة عليهما كـ (مأتم، البكاء، يسعر، الجمر، ينحن ..... إلخ) .

وفي صورة شعرية تحاول أن تصور أحاسيس الشاعر الملتهبة والمغبونة لهذا الفقد ، كجعله الزهر يبكي وينوح على فقد الأخوين، وجعل الغمام يظهر بعيون واكفة الدمع، والبرق الذكي بالنار والمستعر وجعاً وحرقة .

فالحدث جلل والنكبة عظيمة قد ذكرته أيضاً بفقده لغياب ورحيل ابنه أبي النصر سراج الدولة من قبل:

أبا خالدٍ أورثتني البث خالدا ، أبا نصر مذ ودعت ودعني نصري

ولا شك أن اختيار حرف الراء المكسورة رويا لقصيدته مع ما فيها من نغم موسيقي جعلتنا نشعر بانكسار المعتمد، ونلمس ثقب قلبه بفقده لبعض أهله ؛ فالانشطار القلبي قوي ، والانكسار الدمعي كان واضحا في نصه ، وقد أحسن الشاعر في اختيار هذا الروي المنكسر مع البحر الطويل الذي يمتد بوجعه إلى حد بعيد.

ويفقد المعتمد ولديه أيضا فيشارك الطبيعة الحية في وجعه على غياب وفقد ابنيه فنجده يستشعر كل صوت حوله ويوظفه لما يخدم نصه وشعوره فيقول: (وقد رأى قمرية بائحة بشجنها، نائحه على سكنها، وأمامها وكر فيه طائران يرددان نغماً، ويغردان ترحة وترنما)[١] ، فربطها بحاله بعد غياب فقد ابنيه : (الطويل)[٢]

بَكتْ إنْ رأت إلفين ضَمهما وكْرُ مساءً ، وقد أخْنى على إلفها الّدهْرُ
بَكتْ ولم تُرِقْ دَمْعًا وأَسْبلتْ عَبْرة يُقصّرُ عنها القَطْرُ مَهْما هَمَا القطْرُ
ونَاحتْ فَبَاحتْ واستراحت بِسرّها وما نَطَقتْ حَرْفا يَبُوحُ بـهِ سِرّ

لقد نقل المعتمد مشهد ذلك البكاء من القمرية متأثرا بما رآه، وتعجب من قلبه وهو المرهف واللين مع أبنائه كيف لا يبكيهما :

فَمَا لِي لا أَبْكي أم القلْبُ صَخْرَةٌ ؟ وكَمْ صَخْرةٍ في الأرض يَجْري بها نَهْرُ؟

وله الحق في أن يبكي ويبكي طويلاً، فالفقد غالٍ وما من فقد كفقد الأبناء والأحبة المقربين، وغياب الأحبة بالموت يغرس شوكة في القلب وغصه لا تكاد تنتهي:

---

[١] قلائد العقيان ١/ ٨٥

[٢] ديوان المعتمد بن عباد ص١٦٤

بَكَتْ واحداً لم يُشْجِها غيرَ فَقْده وأَبْـكي لأُلافٍ عديدُهُم كُثْرُ
بُني صَغِيرٌ ، أو خليل مُوَافق يُمِزق ذا قَفْر ، ويُغْرقُ ذا بَحْرُ
ونَجْمان زَيّنٌ للزّمَان احتواهما بِقُرطبةَ النّكداء أو رُندة القبرُ

وإن رأى الشاعر أن عينيه قد بخلتا بالدمع فعذره :

عُذرتُ إذًا إنْ ضَن جفْني بقطرةٍ وإنْ لؤمت نفسي فصَاحِبها الصبرُ

وما كان منه إلا أن طلب من النجوم الزهر مشاركته في البكاء فهما يستحقان سيلاً هادراً من الدمع وماء العين المسكوب حزناً :

فَقُلْ للنجوم الزّهرِ تَبْكيهما معي لِمِثْلِهما فَلْتحزن الأنْجُم الزهرُ

هكذا يفعل الغياب بالقلوب المنهكة والمتعبة بالذكرى والحنين إلى أشخاص تواروا تحت التراب، وما من سبيل إلى عودتهم، فتبقى الذكرى مؤرقة ، وكلما جاشت وحشرجت على النفس هل الدمع مدرارا. كل هذه المشاهد والسيل الدمعي على ولديه جسدهما الشاعر عبر صور شعرية متتاليه تنقلنا من مشهد القمرية الباكية إلى صور مشاركة النجوم الزهر لبكاء الشاعر وكأن كل ما في الكون يغني باكياً معه .

ومن يتأمل هذا النص يلحظ تشابها بينه وقصيدة أبي فراس الحمداني (ت٣٥٧هـ) الشهيرة في مخاطبة الحمام التي مطلعها [١]:

أَقولُ وَقَدْ ناحَتِ بِقُربي حَمامَةٌ: أَيا جارَتا هَل تَشعُرينَ بِحالي؟
مَعاذَ الهَوى! ماذُقتِ طارِقَةَ النَوى ولا خَطَرَت مِنكِ الهُمومُ بِبالِ

فالمعاني تكاد تكون (متشابهة لدى الشاعرين الأميرين الأسيرين ، وهاهي مفردات السجن والأسر والقهر وإظهار التصبر بادية في القصيدتين ؛ فضلا عن مخاطبة سرب القطا وتصوير الحمائم الباكية)[٢] ولأن الحالتين متشابهتين عند الشاعرين فقد رأى أحد الباحثين عند المقارنة بين معاني الشاعرين في الأسر والسجن تشابها كبيرا فقال : (ولدى المقارنة بين ا قاله المعتمد في سجنه وما قاله أبو فراس في أسره ند تشابها كبيرا في الموضوعات والمعاني وبعض الصور والتشبيهات، مما يوحي بأن المعتمد قد تمثل شعر أبي فراس تمثلا عميقا)[٣]

---

[١] ديوان أبي فراس الحمداني ، ط٢ (دار صادر –بيروت ، ١٩٩٢م) ص٢٣٨

[٢] تجربة الأسر في شعر المعتمد بن عباد الإشبيلي ت٤٨٨هـ :دراسة المضامين والخصائص الأسلوبية، ص ٨٩

[٣] قراءات في الشعر الأندلسي، د. صلاح جرار، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، (عمان – الأردن ٢٠٠٧م) ص ١٣٩

وفي نص آخر يرثي ولديه، ويتوجع لغيابهما ورحيلهما عنه مستحضراً بعض ألوان الطبيعة ليتحدث إليها، وتشاركه مشاعر الفقد والحزن فيقول مخاطباً الغيم: (البسيط)[١]

يا غَيْمُ عينيَ أَقْوى مِنْكَ تِهْتانا أَبْكِي لِحُزْنِي وما حُملتْ أَحْزَانا
ونَارُ بَرْقِكَ تَخْبو إِثْرَ وَقدتِها ونَارُ قلبي تَبْقى الدّهْرَ بُرْكَانا
نارٌ وماءٌ صَمِيمَ القلبِ أَصْلُهُما مَتَى حَوى القلبُ نِيرانا وطُوفانا؟
ضِدّان أَلّف صَرْفُ الدّهر بينهما لَقــــدْ تلّون في الدّهْر أَلْوَانا

فالغيم والبرق كانا حاضرين في النص السابق ولكنهما كانا أكثر دمعا وسعيراً وهنا يغلبهما الشاعر في الدمع والاستعار والحرقة (نار قلبي تبقى الدهر بركانا)

فالغياب قطع نياط قلبه :

يا فلذتي كبدي ! يأبى تَقطّعهما من وَجْدها بِكُما ما عِشْتُ سُلْوانا
لقد هَوَى بكما نجمان ما رَمَيا إلا مِن العُلْو بالأَلْحاظ كِيـوانا

وليس له إلا أن يهديهما مع أمه المفجوعة عليهما إلا السلام والأمان حتى يلقاهما يوم المعاد :

مِني السلام ومن أمٍّ مفجعّة عليكما ، أبدًا مثنى ووحدَانا
أبِكْي وتَبْكي غيرنا أسفا لدَى التَذّكر ، نِسوانا ووُلْدَانا

وقد وفق الشاعر – فيما أرى – في اختياره لقافيته حرف الروي (النون المفتوحة) والمتبوعة بألف الإطلاق، لكي يأخذ المد مداه فيطيل الشاعر صوته معبرا عن أنين وجعه وصرخة تفجعه على ولديه.

ومن شعره في غياب بعض أصدقائه، وأعني هنا صديقه الشاعر ابن عمار الذي استوزره ووثق فيه، فلم يكن يتخيل أن تنفك أواصل المحبة بينهما، غير أنها قد حدثت بسبب طموح ابن عمار وطمعه فيما عند المعتمد، ومن يقرأ شعرهما قبل الخلاف يلمس قوة العلاقة بينهما، وتشوق المعتمد إلى صديقه ابن عمار بشكل دائم، فقد حدث أن غاب ابن عمار عن المعتمد ذات يوم ، فكتب المعتمد إليه قائلاً : (الكامل)[٢]

طَلَب البشيرُ بشارةً يُجْزي بها فَوَهبتُ قَلْبي واعتذرتُ إليــــهِ

فغياب ابن عمار ونأيه سبب الأرق للمعتمد فجفاه الكرى، وانصرف بانصرافه، وكان غاية ومطمع المعتمد أن يلتقي به مجدداً وأن يعود من غيابه إليه وإلى مجالسته .

---

[١] ديوان المعتمد بن عباد ص١٦٦

[٢] ديوان المعتمد بن عباد ص١٢٣

كما طال العهد بين المعتمد والوزير أبو الأصبغ بن أرقم ، فكتب إليه أبو الأصبغ في مسيره إليه وإلى بلاطه :[١]

يا مَلِكًا عَظمته العربُ والعَجمُ وواحدًا وهو في أَثْوابه أُمم

فكتب إليه المعتمد مرحبا به وبزيارته ، وقد شكى في أخر النص ذلك الغياب والبعد الذي كتمه عنه : (البسيط)[٢]

هَذَا فُؤَادي قد طار السرورُ به إنْ كُنْتَ تَنْقُلكَ الوخّادةُ الرّسُمُ

سَأكتُمُ اللّيل ما أَشْكُوه من بُعُدٍ وأَسْألُ الصّبْحَ عَنْكُمْ حِينَ يَبْتسمُ

ومن خلال ما سبق من عرضنا لهذه الباقة الشعرية للمعتمد بن عباد يتبين لنا مدى الأثر الذي تركه غياب أو فقد بعض أهله وولده ورفاقه في نفسه ، وقد جاءت النصوص مترجمة أثر ذلك الغياب في لغة شعرية طوقتها مفردات الوجع والألم واللوعة عن ذلك الغياب مما يدل على أن المعتمد شاعر مرهف ، حساس تأثر كثيراً بفعل الغياب في حياته، ولم يكن مثل بعض القلوب العصية التي تكتم ذلك الأثر، وتخفي اللوعة والحزن .

---

[١] المصدر السابق ص١٣٢

[٢] المصدر السابق ص ١٣٣

الخاتمة :

في نهاية البحث يمكنني القول بأن الشاعر الملك المعتمد بن عباد قد عاش كثيراً في دائرة الغياب منذ بداية حياته المترفة وحتى أواخرها وهو في السجن ، ولم يكن كغيره من الملوك والشعراء الذين انغمسوا كثيرا في الملهيات ولم يتأثروا بالغياب كثيراً ؛ بل كان شاعراً مرهفاً ، نبيلاً يشعر بغياب من حوله الذين يؤثرون فيه ويتأثر بهم؛ فجاء شعره نتاج ذلك التأثر وقد خرج البحث من أثر تلك الدائرة بعدة نقاط منها:

١- إن المعتمد بن عباد شاعر، وملك مرهف الحس جداً لم يكن يمر عليه الغياب مرور الكرام، ولم يكن هو الغائب عادة، لم يقم بفعل الغياب إنما نلحظ أن غياب الآخر هو من فعل فعلته وكان من أقرب الناس إلى قلبه .

٢- كثرة الحديث عن الغياب وفعله به في شعره بكمية تشعر معها أثره عليه ومرارته على نفسه ، وأنها دروب ملازمة له.

٣- كثرة النساء والجواري من حوله وتعلقه بأكثر من واحدة منهن ؛ فضلاً عن زوجه اعتماد الرميكية جعل بعضهن يتدللن عليه ،وتشب في قلوبهن الغيرة فيحدث الغياب من بعضهن ،ولم يكن المعتمد – مع كونه – ملكاً غير عابر لمثل هذا الغياب ؛ بل نجده يبكي ويتألم ويبث الحزن عليهن ولم يتورع في ذكر ذلك مع حبه الشديد لزوجه اعتماد .

٤- اشتداد الألم والوجع على الملك المعتمد بن عباد إثر غياب وطنه، وفقدانه لمملكته وحكمه، وقصوره وبساتينه ،وقد ظهر جلياً أثر ذلك الغياب عنهم، وغيابهم عنه بذلك الفقد المقيت الذي حدث قصراً وجبراً مذلة ومهانة، مما جعله شعره يقطر أسىً وبكاء ودمعاً وهو في سجنه وقيده .

٥- غياب الأهل والأبناء والرفقة جعلوا من الشاعر إنساناً حزينا يشعر بألم الغياب كثيرا، ويستدر الدمع ممن حوله رغبة في مشاركته وكأنه يشعر بأن وجعه وحده لا يكفي لترجمة ذلك الغياب، وسطوة ذلك الفقد.

٦- حضور مكثف لكل ما يمكن أن يشعرنا لغوياً بمفردات تترجم الغياب ودائرته التي كانت تحوط الشاعر من مثل (البكاء، الدمع، ماء الشؤون ، الشجن ، الشجو ... إلى غير ذلك) وكلها مفردات تضافرت ؛ لتجسد معاناة المعتمد زوجاً محباً وعاشقاً ، وملكاً، وأباً، وأخاً ،ورفيقاً صادقاً ، أكل من قلبه وراحته ذلك الغياب .

وأخيراً ما زلت أرى أن شعر المعتمد بن عباد يثير عددا من الموضوعات التي لم تشبع بعد، فلديه من الثنائيات التي يمكن الالتفات إليها كالصبر والشكوى، واللغة الشعرية المفعمة بالذكريات والشجون إلى غير ذلك مما يمكن استنباطه عند تأمل شعره .

المصادر والمراجع:

١) بواعث الحزن وتشكلاته الفنية في شعر المعتمد بن عباد أ.د.شيماء هاتو، (جامعة البصرة، كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية عام ٢٠١٨)
٢) تاريخ الأدب العربي، عمر فروخ ،دار العلم للملايين، بيروت – لبنان ١٩٨٤م)
٣) تجربة الأسر في شعر المعتمد بن عباد الإشبيلي ت٤٨٨هـ :دراسة المضامين والخصائص الأسلوبية ، جامعة ذي قار – كلية الآداب ،(ع٢٣،٢٠١٧م)
٤) الحلة السيراء ، أبو بكر عبدالله محمد بن عبدالله القضيعي المعروف بابن الأبار ، تحقيق : د.حسين مؤنس ، ط (القاهرة: دار المعارف ١٩٨٥م)
٥) ديوان أبي فراس الحمداني ، ط٢ (دار صادر –بيروت ، ١٩٩٢م)
٦) ديوان المعتمد بن عباد ملك اشبيلية ، جمع وتحقيق : د.رضا الحبيب السويس (الدار التونسية للنشر ١٩٧٥م)
٧) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لأبي حسن علي بن بسام الشنتريني، تحقيق د. إحسان عباس(ليبيا –تونس،الدار العربية للكتاب ١٣٩٥هـ–١٩٨٥م)
٨) السرد القصصي في الشعر الأندلسي(دراسة نقدية)، للدكتور. إنقاذ عطا الله محسن ، (دار غيداء للنشر والتوزيع) ، ط١(١٤٣٥هـ–٢٠١٤م)
٩) الشكوى في شعر المعتمد بن عباد :اتجاهاتها وفنيتها، أحمد مقبل أحمد المنصوري، (مجلة كلية الآداب ، جامعة صنعاء ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية)
(١٠) عصر الدول والإمارات (الأندلس) ، د.شوقي ضيف(القاهرة: دار المعارف)
(١١) الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، فاطمة طحطح ،(المملكة المغربية ،جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رسائل واطروحات ١٩٩٣م)
(١٢) قراءات في الشعر الأندلسي، د. صلاح جرار، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، (عمان – الأردن ٢٠٠٧م)
(١٣) قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، للفتح بن محمد بن عبيدالله القيسي والمشهور بن خاقان ، تحقيق د.حسين يوسف خربوش،ط١(عمان–مكتبة المنار ١٤٠٩هـ–١٩٨٩م)
(١٤)المغرب في حلى المغرب، لعلي بن موسى بم محمد عبدالملك بن سعيد،ط٣،تحقيق د.شوقي ضيف(القاهرة: دار المعارف)
(١٥) المكان في الشعر الأندلسي، عصر ملوك الطوائف ،أمل محسن العميري،ط١،(الانتشار العربي – بيروت– لبنان ٢٠١٢م)

(١٦) منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، حازم القرطاجني ، تحقيق : محمد الحبيب بلخوجة ط٢ (بيروت–دار المغرب ، الإسلامي ١٩٨١م)
(١٧) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد بن محمد المقري، تحقيق: د.إحسان عباس،(بيروت–دار صادر ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م) .

Sources and references:
The motives of sadness and its artistic formations in the poetry of Al-Mu'tamid bin Abbad, Prof. Shaima Hatto, (Basra University, College of Education for Human Sciences, Department of Arabic Language, ٢٠١٨)
The History of Arab Literature, Omar Farroukh, Dar Al-Alam Al-Malayn, Beirut - Lebanon ١٩٨٤ AD)
The Experience of Families in the Poetry of Al-Mu'tamad Bin Abbad Al-Ishbili D. ٤٨٨ AH: A Study of Contents and Stylistic Characteristics, Dhi Qar University - Faculty of Arts, (Issue ٢٣,٢٠١٧ AD)
Al-Hillah Al-Sirraa, Abu Bakr Abdullah Muhammad bin Abdullah Al-Qudai'i, known as Ibn Al-Abar, edited by: Dr. Hussein Mu'nis, i (Cairo: Dar Al-Ma'arif ١٩٨٥ AD)
The Diwan of Abu Firas Al-Hamdani, ٢nd Edition (Dar Sader - Beirut, ١٩٩٢ AD)
(٦)
The Diwan of Al-Mu'tamid Bin Abbad, King of Seville, compiled and investigated by: Dr. Reda Al-Habib Suez (Tunisian Publishing House ١٩٧٥ AD)
(٧)
The Ammunition in the Beauties of the People of Al-Jazirah, by Abu Hassan Ali bin Bassam Al-Shantrini, verified by Dr. Ihssan Abbas (Libya - Tunisia, Arab Book House ١٣٩٥ AH-١٩٨٥ AD)
(٨)
Narrative Narration in Andalusian Poetry (A Critical Study), by Dr. Rescue Atallah Mohsen, (Ghaidaa House for Publishing and Distribution), ١st Edition (١٤٣٥ AH-٢٠١٤ AD)
(٩)
The Complaint in the Poetry of Al-Mu'tamid Bin Abbad: Its Trends and Techniques, Ahmad Muqbel Ahmad Al-Mansouri, (Journal of the College of Arts, Sana'a University, College of Arts and Human Sciences)
(١٠)
The Age of Countries and Emirates (Andalusia), Dr. Shawky Deif (Cairo: Dar Al Maarif)
(١١)
Alienation and nostalgia in Andalusian poetry, Fatima Tahtah, (The Kingdom of Morocco, University of Mohammed V, Publications of the Faculty of Arts and Human Sciences in Rabat, Series of Letters and Theses ١٩٩٣)

(١٢)
Readings in Andalusian poetry, d. Salah Jarrar, House of the March for Publishing and Distribution, (Amman - Jordan ٢٠٠٧)
(١٣)
Qawalat Al-Aqiyan and Mahasin Al-Ayan by Al-Fateh bin Muhammad bin Ubayd Allah Al-Qaisi and Al-Mashhour bin Khaqan, edited by Dr. Hussein Yusef Kharboush, ١st Edition (Amman - Al-Manar Library ١٤٠٩ AH-١٩٨٩AD)
(١٤)
Al-Maghrib in the ornaments of Maghrib, by Ali bin Musa, by Muhammad Abdul-Malik bin Said, ٣rd Edition, edited by Dr. Shawqi Dhaif (Cairo: Dar Al Maarif)
(١٥)
The place in Andalusian poetry, the era of the kings of the sects, Amal Mohsen Al-Amiri, ١st ed. (The Arab expansion - Beirut - Lebanon ٢٠١٢ AD)
(١٦)
Minhaj al-Buluha and Siraj al-Adaba ', Hazem al-Carthagini, edited by: Muhammad al-Habib Belkhujah, ٢nd edition (Beirut - Dar al-Maghrib, al-Islami ١٩٨١ CE)
(١٧)
Nafah al-Tayyib from Ghosn al-Andalus al-Rutayb, by Ahmad ibn Muhammad al-Maqri, edited by: Dr. Ihsan Abbas, (Beirut - Dar Sader ١٤٠٨ AH-١٩٨٨AD)